حين بكى النهر على الحسين ع

قُمْ يا فُؤادي واندُبِ السَّبْطَ الهدى

  وانظُرْ إلى جَسَدٍ تفرَّقَ أشلُه

هذا الحُسينُ على الرِّمالِ وحولَهُ

  شَمسٌ تَنوحُ ومَـهجَـةٌ تَشكو له

سَقَطَ السَّليلُ ولا صَريعٌ مثلَهُ

  مَذْ خاضَ سَيْفُ الظلمِ ساحَةَ مَقتَله

داستْهُ خَيلُ بني أُميّةَ بعدما

  سَلَبوا الرِّداءَ وشَمْلَةً كانتْ له

والريحُ تسألُ تربَ كربَلاءِ عن

  جَرحٍ عظيمٍ كيفَ غابَ حَامِلُه؟

فتجيـبها التربةُ الثكولُ بأنَّهُ

  قَـمَـرُ الشَّـهادةِ لا يَعودُ مُقابِـلُه

والنهرُ يبكي وهوَ يَعرفُ أنَّهُ

  ما قد سَقَى ذاكَ الفؤادَ وشَـلّـه

مِنْ عطشِ الطُّهرِ الذي في قلبِهِ

  سَـقَطَ الحَياةُ وماؤُهُ مَحْجُولُه

والخِدرُ يَرتجفُ الحَريرُ بثَوبِهِ

  إذْ صَفَعَ الريحَ الخَيامَ وأذْبَلَه

زَينبْ تَنادي: يا أخي هلْ تسمَعُ الـ

  صوتَ المُصابِ؟ وهلْ يُلَبَّى نائِلُه؟

لكنَّهُ صَمتَ الحُسينُ وكَفَّهُ

  خُضِّبَتْ بالدَّمِ الطَّهورِ ومَخمَلُه

واستَسلمَتْ كَفُّ الحُسينِ لِقَدرِها

  والمَوتُ يَكتُبُ في الجَبينِ مَنزِلَه

في كربلاءَ تَفَتَّحَتْ أوجاعُنا

  وتكسَّرَ التاريخُ حتى أُثقِلَه

أيتامُهُ فوقَ الرمادِ تَحومُ لا

  مأوى، ولا رِدءٌ، ولا مَن يَأْوِلُه

والأمُّ تَبحثُ عن صغارٍ ضاعَتِ الـ

  أسماءُ منهم في الحريقِ وأَوجَلُه

حُرٌّ أتى من بعدِ قَسمٍ حُرّقَتْ

  في قلبهِ نارُ الندامةِ أشعَلُه

والأرضُ ترتجفُ الثرى من وجعِها

  والشمسُ أطفأَ نورَها مَن قتَلَه

والخيلُ ترمحُ فوقَ صدرِ طهارةٍ

  والرمحُ يزرعُ في الفؤادِ مُقبِلُه

كلُّ الملائكةِ البواكي حولَهُ

  سجدوا لِمَنْ قدْ كانَ للحقِّ أهَلُه

والغيمُ يَبكي والرياحُ نَواحُها

  تَعلو كأنَّ الكونَ فارقَ مَنزلَه

والسيفُ يسألُ: أينَ صوتُ إمامِنا؟

  لكنْ يُجِيبُ السَّكْتُ أن قدْ قُتِلَه

يا كربلاءُ أما شبعتِ دماءَنا؟

  قدْ سُقيتِ حتى سالَ دمعُكِ مُثقَلَه

يا نهرَ علقمِ هلْ غدرتَ بمائِكَ؟

  كيفَ انثنيتَ وأنتَ كنتَ مُؤمَّلَه؟

قالَ النهرُ: "بِحُرقةٍ أُخفيتُهُ

  خوفَ العِدى، ودموعُ قلبي أوصَلَه"

والطيرُ نوحٌ فوقَ صدرِ إمامِنا

  يبكي جناحاهُ الفُراقَ ويَرحَلَه

والليلُ يَسجُدُ في الضريحِ مودِّعًا

  والفجرُ يمسحُ بالدِّماءِ مَنزِلَه

في كلِّ حجرٍ قُبلةٌ للمَصرَعِ

  في كلِّ وردةِ عاشقٍ قد أقبَلَه

حتى الجبالُ هوتْ، وذابَ صمودُها

  لَمَّا رأتْ سَيلَ الدماءِ تُنقَلَه

والريحُ صارتْ ناقلاً لأنينِهِ

  تسقي بهِ أسماعَ كلِّ مَن اعتقَلَه

إنا خُلقنا كي نموتَ على الوفا

  وموتُنا للعهدِ أسمى منزِلَه

فإذا الحسينُ يُناديَ: "هلْ مِنْ ناصرٍ؟"

  صرخَ الوجودُ بكُلِّ أرضٍ مُقبِلَه

ولقدْ بكى النهرُ الكريمُ على الفِدى

  حتى غدا مِلْحًا وجَفَّ مُسَلْسَلَه

يا سامعينَ لِمَصرعِ السِّبطِ الحَزين

  صلّوا عليهِ فَقدْ سَقَتْهُ قَوافِلُه

أسامة محمود اليوسف

كربلاء المقدسة